

جوهرة

مفاتيح الحياة



البريق الفخامض

تأليف: علاء الدين طعيمة



دار الدعوة

نخادران عجيبه



❖ سلسلة ملينه بالإنارة والقصة .

❖ أغرب الرحلات والمعارف .

❖ تعلم مع الملهة والمعرفة .

❖ كيف تصبح كاتباً وإتقان

والمواصلات

جوهرة

البريق الغامض

قال ريجان : أن هناك حيوان خرافي يسكن بطن الجبل ، وعندما يخرج من كهفه تلمع عيناه بهذا البريق انه يؤكد ذلك ويقول أن هناك شهود عيان قد أكدوا رؤيتهم لهذا الوحش وتعرضوا له ثم نجوا منه بأعجوبة.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : ٢ شارع منشأ - محرم بك - الإسكندرية

ت : ٤٩٠١٩١٤ - فاكس : ٥٩٥١٦٩٥

مكتب توزيع القاهرة : ٣٨٣٢٧٤٧

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً



جوهرة

البريق الغامض

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع القانوني

١٩٩٦/٥٩٤٤

التقييم الدولي : 6- 104- 253- 977

تحذير

لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائي أو تليفزيوني أو إذاعي
أو مسرحي أو شرائط فيديو إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: ٢ ش منشأ - محرم بك - الاسكندرية

٥٩٠١٦٩٥ فاكس ٣٩٠٧٩٩٨ - ٣٩٠١٩١٤

جوهرة البريق الغامض

تألف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسرى حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«مغامرات عجيبة جداً»

قمة الفرح أن يعثر الإنسان علي تاج أثري عتيق خال من الجواهر ولكن تكون هي قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور علي جواهر هذا التاج ، إنه يسافر في رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذجاً غريبة من البشر وعجائب الأرض والسماء من الإنس والجن والأحياء والأموات وفي كل مغامرة بعد العناء والصراع مع المكان والزمان يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلي التاج .

علاء الدين طعيمة

«يارعو» هكذا كانوا يطلقون عليه منذ القدم، وفي فجر التاريخ كانوا يسمونه «حابي» لقد ظل يعبد حتى آخر عصور الوثنية ، وفي التوراة يطلق عليه «بي أور» إنه البحر العظيم . . . وفي القرآن قال تعالى ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي﴾ وسماء العرب «النيل» أو «نيل مصر» هذه إجابة سؤالك يا ننى . . . فهل تريد المزيد؟

نظر مؤمن للحكيم العجوز الذى قد شد الرحال إليه من القاهرة؛ حتى يعرف منه كل المعلومات الخاصة برحلته إلى بلاد ماتحت النهر . . . فلقد عرف أن جوهرة التاج الجديدة تقبع هناك. لقد قطع رحلة شاقة؛ حتى وصل إلى هذا الحكيم فى بيته الملىء بالكتب والمخطوطات العريقة.

وقال مؤمن للحكيم :

- سيدي... أريد أن أعرف الكثير عن هذا
النهر... من أين ينبع؟ وما خكايته؟

قال الحكيم :

- قبل حوالى سنة ٤٥٧ قبل الميلاد... لقد
صعد الحكيم «هيرودوت» حتى بلغ الشلال الأول ،
وزعم أن منابع النيل تقع فى الغرب البعيد حيث
بحيرة تشاد .

وقال هيرودت :

«حدثنى الكهنة بأن النهر فى عصر الملك
مويريس كان يروى مصر ابتداء من منف، كما بلغ
ارتفاعه ثمانية أذرع فحسب ، ولم تكن قد مضت
على موت مويريس هذا تسعمائة عام عندما سمعت
هذا القول من الكهنة »

وقال هيرودوت أيضا :

«لا لم أستطيع أن أقف على أى معلومات عن طبيعة النهر، لا من الكهنة ، ولا من أحد غيرهم ، لقد كنت شديد الحرص على أن أعرف منهم لماذا يأتى النهر فى فيضان مرة كل مائة يوم تبدأ من بداية الصيف؟! ولم استطع أن أعرف من المصريين أى معلومات بشأن مسألة واحدة من هذه المسائل ، حين تساءلت عن طبيعة النيل هذه التى يخالف بها سائر أنهار العالم . يفيض فى الصيف ، ويغيب فى الشتاء أى يقل ماؤه» .

يا بنى إن هذا النيل الذى يجرى فى أرض مصر عند نهايته قد حير الشعوب كثيراً، ولقد كثرت الظنون والاجتهادات حول منبعه ، فمنهم من قال :

«إنه ينبع من عين كبيرة فى أعماق القارة السوداء،

ومنهم من أكد أن هناك جبلاً من الجليد فى أعماق القارة تسيل إلى ماء ينساب فى النهر ، وأن بعضهم قد قال إن النيل ينبع من بحيرة تقع غربى موريتانيا»
فدهش مؤمن من كلام الحكيم وقال :

- موريتانيا ؟ !!!

فقال الحكيم معقبا :

- كان هذا اعتقادهم يا ولدى . . . لقد قالوا أيضاً إنه بعد ذلك يجرى مسيرة عدة أيام تحت الأرض إلى بحيرة أخرى فى موريتانيا القيصرية ، ثم يجرى تحت الأرض مدة أخرى مسيرة عشرين يوماً حتى يصل إلى الحدود الفاصلة بين إفريقية والحبشة ، ثم يشق طريقه فى أرض الحبشة إلى شمال القارة .

شعر مؤمن بالبحيرة وسط هذه الآراء المتضاربة عن حقيقة النيل وقال للحكيم :

- سيدي ... لقد تعودت فى مغامراتى على الألغاز
والمتابع ... كما تعودت ألا أصل إلى هدفى وأنا
جالس مكاني ... تعلمت أن أخوض غمار الحياة
وأشق الصعب وأتمرغ فى الأحوال السهلة والصعبة ،
وأقبض على هدفى بيدي ... حقاً كم هو مفيدٌ
كلامك ، ولكنى الآن على أن أرحل ... سأخرج
من بيتك هذا، وقبل أن يجن الليل سأكون سائراً
بحذاء النهر العظيم الذى لا أدرى أين بدايته
... فلتدعُ لى بالخير يا سيدي .

فقال له الحكيم :

- انتظر يا ولدى ... قل لى أولاً ... لماذا
تنوى السير مع النيل ؟

فقال مؤمن وهو يستعد لمغادرة البيت :

- سيدي ... ! إنها قصة طويلة .. ولكن

موجزها . . . أننى أبحث عن جوهرة بعينها . .
هكذا الأمر بعد أن عثرت على تاج قديم ليس به
جواهره . . وكلما عثرت على جوهرة بعد العناء
والتعب، أجدنى لا أهدأ حتى أعثر على غيرها
. . . . الإغرب من ذلك يا سيدى . . أن جواهر
هذا التاج مبعثرة نعم مرة أذهب
إلى بلاد الصين ، ومرة فى أدغال البرازيل ،
صدقنى . . ومرة فى القطب البارد حتى كدت
أتجمد، ومرة فى أعماق تاريخ الفراعنة، ومرة فى
ممالك الجن والعفاريت . واليوم سأتجه إلى قلب
إفريقية .

ضحك الحكيم وقال له :

- إذن كن حذراً يا ولدى الطريق جد
مخيف لا بد أنك ستستقل مركبة شرعية . . .

وقف الحكيم كثيراً عن الكلام؛ وكأن على رأسه الطير ثم أخذ يقول لنفسه بصوت مسموع :

نعم .. لا .. لا أظن هه ... أعتقد ذلك؟! .. إنها مغامرة .. ولكن .. ولكن ..

اندفع مؤمن ينبهه ويسأله :

- سيدى ... سيدى ... ماذا بك يا سيدى؟ ... هل هناك ما يشغلك؟!

نظر الشيخ فى عينى مؤمن نظرة متفحصة، ثم نظر للسيف الذى يحمله .. ثم مديده كأنه يصفحه ... فلما مد مؤمن يده ... قبض عليها بشدة كى يثنيها فقاومه مؤمن مقاومةً شديدةً، فابتسم الحكيم وتركها ثم قال :

- لا يخشى عليها معك نعم أنت تصلح لهذه المهمة سيكون لك أجرٌ عظيم

تعجبَ مؤمن من كلام الحكيم الشيخ وسأله :

- سيدى من هى التى لا يخشى عليها

معى ؟ .. وأى مهمة تقصد يا تري؟!

فقال له الحكيم :

- إنها قصة طويلة يا بنى ، ولكن دعنى أسألك؛

هل يمكنك اصطحاب فتاة تصغرك فى السن إلى بلاد

السودان. حيث تقيم أسرتها؟

لم يكن يتوقع مؤمن ذلك . . فلقد تعود فى كل

مغامراته على أن يكون منفرداً ، وقد يصاحبه

شخص ما طوال المغامرة ، ولم يحدث من قبل أن

كانت معه صبية صغيرة . . وفكر فى الاعتذار

للحكيم ولكنه سرعان ما تراجع وقال فى نفسه ليس

من المروءة أن يتخلى المسلم عن يحتاج إليه وكذلك

كم من الأجر والثواب عند الله مقابل هذه المهمة

الصعبة ثم قال :

- سيدى ... هناك أسئلة كثيرة تدور بخلدى
الآن فقاطعه الحكيم قائلاً :

- أعرفها ... تسأل من هي؟ ولماذا تريد الذهاب
للسودان؟ وهل ستحمل معك الرحلة وأخطارها أم
لا؟ ولماذا هي هنا من الأساس؟

أوما مؤمن برأسه علامة الإيجاب .

فقال الحكيم :

- يا بني ... هذه الفتاة عمرها الآن عشر
سنوات ، ولكنها ذكية قوية البنية سمراء البشرة مثل
أهلها ... لقد انتشلتها منذ خمسة أعوام من ماء
النيل ساعة الفيضان ، وحسبت أنها كانت تلعب
على البر ، ووقعت فى الماء ثم تعلقت بجذع شجرة
يطفو على سطحه ، ولكنى عرفت منها رغم صغر

سناها ومن حجاب كان مربوطاً على رقبتها أنها تتركب
النهر منذ عدة أيام، ولم أعرف سبب ذلك. وأن
بلدها السودان العميق فى إحدى قبائل غرب
النهر... ولقد تحينت الفرصة دائماً كي أعيدها
لأهلها... وهذه أول مرة أعثر فيها على إنسان ينوى
الذهاب إلى هناك... هذه كل الحكاية... ماذا قلت
إذن؟

فقال مؤمن:

- لا شك يا سيدى أنها الآن قد أحبتك ويعز عليها
فراقك... وهذا أمر مؤلم يا سيدى.

فضحك الحكيم وقال:

- اعلم يا بنى أنها لم تفتأ تذكر أمها حتى يومنا
هذا... ثم إننى كنت أذكرها دائماً بأنها سترحل عني
يوماً ما، وهى تعلم ذلك جيداً... وتذكر أن اسمها

من قطعتين نان - سي .

وحان وقت الرحيل وأحدثت لحظة الفراق بين
الحكيم والفتاة أثرها فى نفسه . . . ولكنه فجأة وجد
نفسه يسير نحو مرسى المراكب الشراعية وبيده
حاجياته، وبجانبه تسير طفلة سمراء ذات ضفيرتين
يبدو على حركاتها النشاط والحيوية ، كانت سعيدة
برحلة العودة إلى أمها . . . تشاغله بكلمات لا يفهم
معناها هى لغتها القديمة . . . ولكنها سرعان ما تعود
مطبعة هادئة عندما تشعر أنه قد تضايق منها، وكانت
فى كل فعلة تقول له :

- أهم شئ . . . ألا تغضب . . . فأنا لا أحب أن
أراك حزينا .

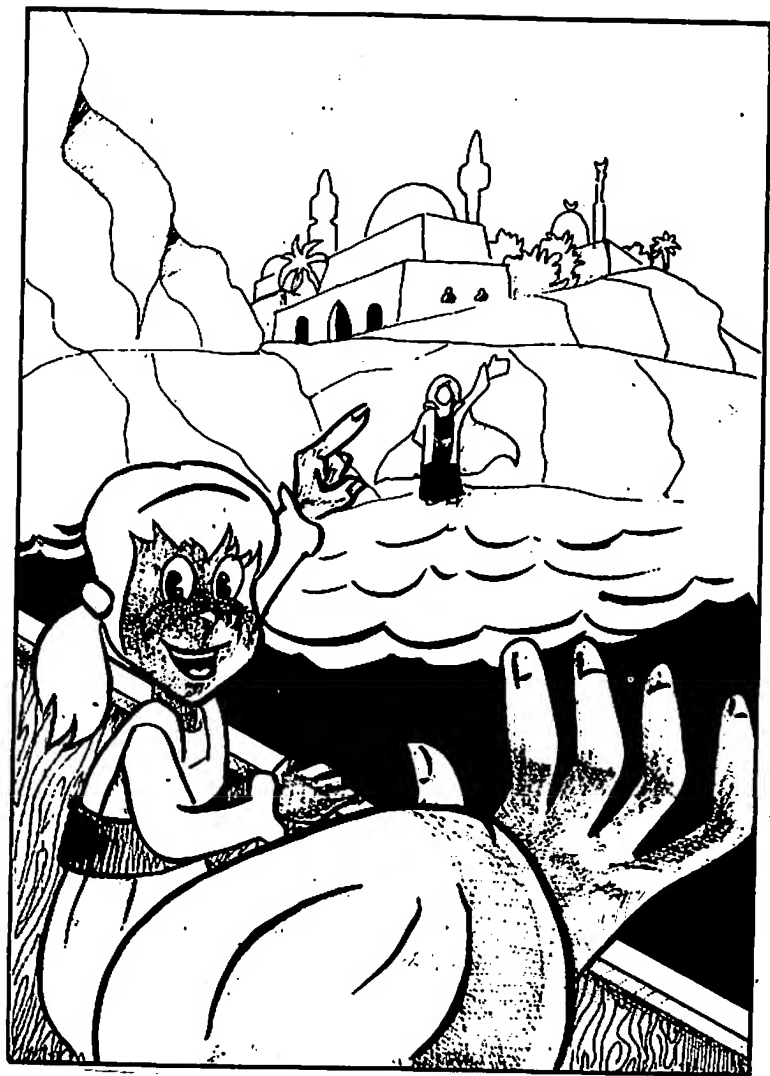
وكانها بهذا تطيب خاطره؛ حتى لا يعدل عن
قرار اصطحابها معه فى رحلته الطويلة .

واستقلا مركباً شراعية حتى انتهت رحلتها ، ثم
 نزلا منها فى نهاية المطاف يتسامران بالحديث ،
 والشمس تنزع للمغيب ، والنهر يجرى فى هدوء
 لطيف ، والهواء له عطر الخضرة ، والماء يفوح
 بالعدوية ، فكانا يتسلقان الصخور الملساء ، ويتخطيان
 تجمعات الأعشاب ، وأرسل الليل نذيرا
 بالتوقف . . . لقد قطعنا رحلة لا بأس بها ، فابتعدا
 عن أى معمورة متوقعة .

وقالت نانسى وقد استبد بها القلق :

- مؤمن أنا وإن كنت أسلح بالشجاعة إلا أن
 الخوف يغلبنى . . . هذا النهر بقدر ما هو جميل
 بقدر ما هو مرعب .

كان مؤمن بعين خبيرة يستطلع المكان . فأشار
 لنانسى وقال لها :



- أرى كوخاً صغيراً... مسيرة ثلث الساعة
تقريباً... هيا قبل أن يهبط الظلام.
وسارا نحو الكوخ ، وكل منهما يتوقع أن يكون
خاوياً، أو أنه كان مسكناً لصياد عابر، أو أنه
ميسكون بأحد وحوش النهر.

* * *

ولما اقتربا لاحظا انبعاث أشعة خفيفة من بين
 قصبات الغاب المصنوع منها الكوخ، وتنمى إلى
 سمعهما صوت ضعيف يترنم بأهازيج غريبة اللحن،
 وأدركا أن به شخصاً ما، تقدم مؤمن وحده من باب
 الكوخ، وألقى السلام على صاحب الكوخ، وإذا
 برجل أسمر تبدو عليه إمارات الشيخوخة، كان طويل
 القامة ينحني للأمام. تبرز عروقه واضحة، وكان
 مرتدياً جلباباً أبيض، ويده عصا قديمة، فرد الرجل
 السلام قائلاً:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته...
 تفضلاً. تعجب مؤمن أن الرجل قد عرف أنهما
 إثنان برغم أنه لم ير نانسي، فنادى مؤمن عليها،
 ودخلا إلى ركن من الكوخ عليه حصيرة من القش
 فجلسا عليه، أما الرجل فقام وأحضر لهما قعباً من

اللبن فشربا، وشكرا له كرم ضيافته، وبعد ذلك سألته
مؤمن:

- هل يمكن أن نبين عندك حتى الصباح يا
سيدي؟

دار حديث شيق بين مؤمن والرجل العجيب،
ولكن مؤمن لم يشأ أن يسأله عن سبب عزله
وانفراده في المكان المخيف... فما كان يهمه هو أن
الرجل قد سمح لهما بالمبيت حتى الصباح ليتما
الرحلة.

ولقد تمكن منهما النوم بعد ذلك، ولم يوقظهما
في الصباح سوى لسعات الذباب وطنينه المزعج،
ولما قاما لم يجدا الشيخ الأسمر في الكوخ فبحثا عنه
، ولكنه اختفى تماماً من المكان، فعادا للكوخ؛
وحملا متاعهما، ثم قررا ألا يضيعا من الوقت أكثر

من ذلك.

كان الأفق أمامهما ممتدا لا نهاية له... والطريق
عبارة عن كتل من الصخور المتناثرة... فأخذا
يتقافزان يحذو النيل، وفجأة توقفت نانسي وقالت
وهي تشير ناحية صخور على شاطئ النهر:

- مؤمن... انظر إلى هذه الصخور...
الصخرة المستديرة التي تلمع لمعانا مميّزا بين
الصخور... هناك.

فقال مؤمن وقد عرف أين تنظر نانسي:

- إنها حقاً غريبة الشكل... ولكن أخالها
تتحرك يا نانسي... أليس كذلك؟

لم يشعرا إلا وأقدامهما تحملهما ليتحققا من
صحة الظنون التي تعاركت في الصدور، فلما دنيا
منها أصابهما الذعر... حتى أن مؤمن استل سيفه

بسرعة، ولكنهما فى فم واحد صاحبا بدهشة:

- إنه الشيخ العجوز؟!!!

لم تكن الصخرة السوداء اللامعة إلا رأس الشيخ صاحب الكوخ، كان جالساً بين الصخور.

وقام متبسماً، فاقتربا منه وهشاً له، وقالت نانسي:

- أين كنت يا سيدي؟... لقد بحثنا عنك لنشكرك على صنيعك معنا.

وقال مؤمن:

- ما الذى جعلك تختفى هكذا بين الصخور؟!...
لقد حسبتك صخرة عجيبة من صخور النهر.

جذب الشيخ ذراع مؤمن وقاده إلى المكان الذى كان قابلاً فيه وقال:

- انظر... انظر لهذه الصخرة... لقد نقشت عليها كلماتٌ قديمة... قديمة قدم الزمان منذ أن كان الفراعنة يحكمون الأرض... أيام الخير والرخاء

تفحصها مؤمن وقال:

- سيدي... هل تعرف معنى هذه النقوش؟
انفجرت عيناه بالدمع قبل أن يتكلم ثم قال بطريقة حزينة:

- هذه النقوش يا ولدى ذهبت بأرواح شباب القرية التي تقفان على أرضها الآن.

نظر مؤمن ونانسي حولهما يتساءلان... « أين هذه القرية التي يتكلم عنها هذا الرجل؟ »

قالت نانسي باستغراب شديد وهي تنظر حولها:

- قرية؟! أية قرية يا سيدي؟ أنا لا أرى أى قرية هنا.

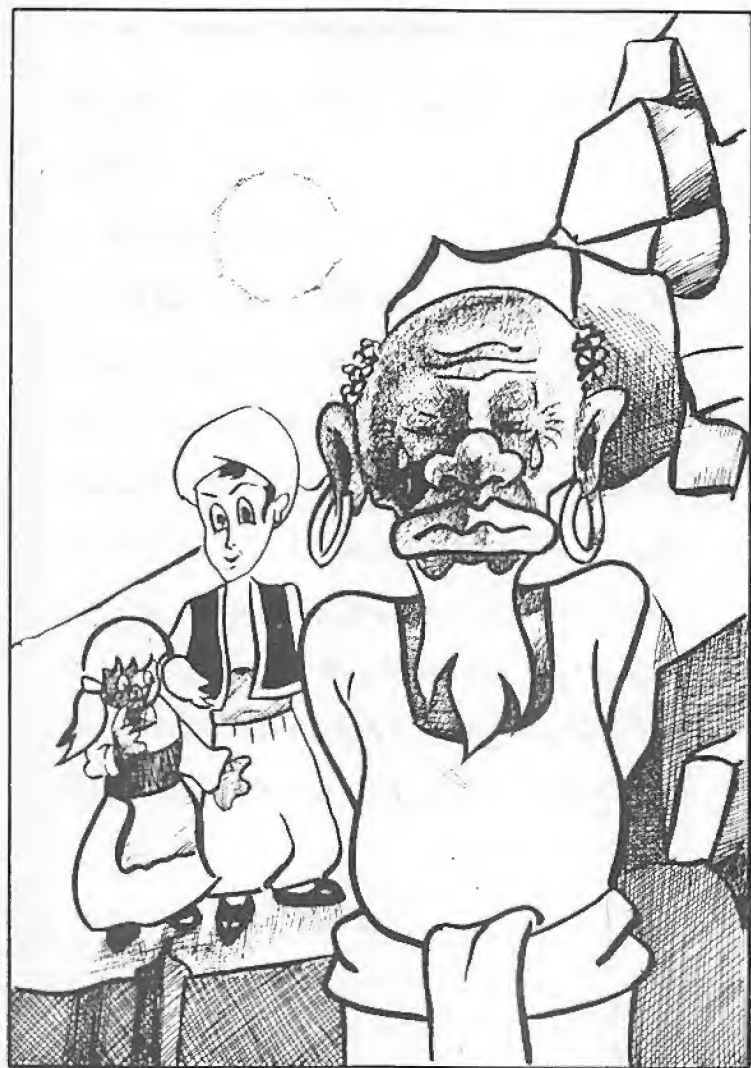
هذه الكلمات زادت من حدة بكاء الرجل الطويل المنحني، فبدا كأنه غصن شجرة قد أوشك الريح أن يقصمه.

فقال وهو يهن:

- كانت هنا. . . كانت. . . قريتى الكبيرة. . . شباب ورجال ونساء وأطفال. . . حضارة عريقة وإن كانت بسيطة. . . قوة وجمال وتجارة وصناعة. . . كنا هنا يا بنيتى. . . كنا ثم ضعنا. . . لم يبق من القرية كلها إلا. . . أنا.

فلاحقه مؤمن قائلًا:

- أنا لا أفهم شيئًا يا سيدي. . . ما هذه



النقوش؟ .. وأين ذهبت القرية؟ ... ولماذا بقيت وحده؟

قال الرجل متلعثماً:

- الذهب... لعنة الله عليه يا ولدى... إن هذه النقوش هي الدليل الذى يرشد السائل إلى كثر من الذهب مكانه فى الجبال المترامية على البحر المالح فى الجنوب ناحية السودان... هذه الرسوم لم تكن معلومة لأحد... ولا يعرف سرها إلا أنا... ولقد عانى أهل القرية كثيراً حتى يعرفوا معناها، ولكنى كنت شديد الحرص على حفظ هذا السر؛ حتى لا تخرج القرية أهلها وشبابها من أجل السراب والأمل الذى لست متأكداً منه حتى الآن... فتضيع القرية بمن فيها.

ولم تصبر نانسى فقالت:

- وهل قلت لهم يا سيدي؟ هل بحث لهم بالسر؟
طأطأ الرجل رأسه خجلاً وقال:

- امرأة... امرأة لعوب... جاءت إلى كوخى
ذات يوم، وكنت شاباً قوياً فأخذت تراوغنى
وتحاورنى لتوقعنى فى حبالتها، ولكنى أثرت
الكتمان... فلم تفلح معى إلا بعد أن طبقت معى
مثل الخمر.

مطّ مؤمن شفّتيه ودارت عينا نانسى، فأدرك
الرجل عدم فهمها فقال:

- لقد وقع شخص ذات يوم فى أن يختار بين
القتل، أو الزنا، أو شرب الخمر، وكان صالحاً
فاختار ما قد ظن أنه أهونها... أى الخمر... فلما
شربها دارت رأسه؛ فلم يشعر بنفسه، فوقع فى
الزنا ثم قام فقتل من زنا بها ثم انتحر.

وإنما ضربت لكما هذا المثل لأن المرأة قد طبقتته معى فلم أدر بحالى ، وأعطيت لها البردية التى كان بها حل شفرة الصخرة وسر الكتز .

وقال مؤمن وقد أثارتة الحكاية :

- وماذا فعلت المرأة بسر الكتز بعد ذلك؟

فقال الشيخ :

- انتهى يا ولدى . . . ولم يعبد سراً بعد ذلك . . . فلقد انتشر الخبر فى كل القرية ، وأصبحت كل يوم أرى الناس يحزمون الأمتعة ويهجرون القرية جرياً وراء الذهب . . . الأغرب من ذلك . . . أن من خرج لم يعد . . . وأدرك الناس وجود خطر عظيم يكتنف البحث عن الذهب . . . ورغم ذلك كان البريق الملعون . . . بريق الذهب أقوى عند النفوس

من كل خطر... هكذا أخذت القرية تأفل يوماً بعد يوم حتى غربت شمسها تماماً وبقيت في النهاية وحدي... جلستُ أبكى الماضي... وألغن الخمر والنساء. اللذين أفسداً على طاعتي لربي ولكنني تُبت إلى الله توبةً نصوحة أسأله أن يتقبلها مني .

ساد وجوم مريب، وكان الرجل يتتخب بكلمات غير مفهومة يلوم بها نفسه، بسبب فعلته، ولكن مؤمن أراد أن يخرج من حزنه فقال:

- إذن يا سيدي... أنا ونانسي لسنا من سكان القرية... فهل لنا في معرفة مكان الكنز؟

انتفض الرجل مذعوراً وقال:

- أتريدني بعد كل هذا الخراب واليباب أن أبوح لك بسر الهلاك والموت؟!

أبعدَ كل ما حدث تريد أن أتم جزيمتي بمصيبة أخرى؟... لتذهب أنت وهى وراء المجهول؟ لتنال نفس المصير الذى لاقتة القرية ؟

قال الرجل هذه الكلمات، ثم سار كأنه لا يعرفهما ببطء شديد ناظراً أمامه لا يهتز طرفه . وسارا وراءه فى تعجب وانبهار، لقد كان كالذى مسه طائفٌ من السحر... . ويبلغ الرجل مكاناً به شجرة توت عريقة، أمامها جلس على خشبة ذات أشواك، ثم استلقى فوقها على ظهره، وأدرك مؤمن ونانسى أن الأشواك سوف تنغرس فى ظهره فاقتربا منه وقال مؤمن: ماذا تفعل يا سيدي؟ هل تنام على الشوك؟ لماذا تفعل ذلك؟

لم ينظر الرجل لمؤمن... بل كان ناظراً إلى السماء وعينه تترقرقان بالدموع... وقال بصوت

معدنى كالحديد له صدى تردد فى الأجواء :

- إنها النهاية يا ولدى هذا فراش موتي . . .
كل أجدادى قد ماتوا عليه «عندما تجد أن لديك رغبة
ملحة فى أن تنام على الأشنوك وتنغرس فى لحمك
ثم لا تشعر بها ، فقد حانت نهايتك » هكذا يا ولدى
تناقلنا هذا الكلام المكتوب على شجرة التوت . . . يا
بني . . أوصيك بدفني ثم هجمت فى الهواء رائحة
الحناء والزعفران ، ونظر مؤمن ونانسى إلى السحاب
الذى أسرع يتجمع فوقهما ، فأثارت ريح خفيفة
أوراق الشجر ليعطى حفيفها لحناً جنازياً مخيفاً . . .
وشاعت فى الأجواء رائحة الاحتضار .

وقال الرجل وكأنه يتلو أهازيجه الغريبة :

- الأفق يرسل كل يوم رسالات إلى السماء ،
أعمال البشر . . . السماء من قديم أرسلت

الأمانة... الأعمال ضيعت الأمانة... البشر
ينوون بأنفسهم شراً ما حقاً..

قالت له نانسى برقة حزينة:

- لماذا هذا التشاؤم يا سيدي؟ فلم يرد عليها ،
حتى قال لمؤمن:

- إليك وصيتي وهى مستوحاه من خلق
النبي ﷺ ومن حكمته.. لو أن لك القلب
الشفاف... فلسوف ترى وصيتي فى أصل شجرتي
هذه اسمع.. قال رسول الله ﷺ وهو يخطب فى
الناس فى حجة الوداع «اتقوا الله ، وصلّوا خمسكم
وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا
أمراءكم تدخلوا جنة ربكم»

- قال مؤمن وهو ينظر إلى جثة الرجل الذي
صعدت روحه إلى السماء :

- إنا لله وإنا إليه راجعون ..

أجهشت نانسي بالبكاء، وجرت تفر من المكان ،
إلا أن مؤمن قد دعاها لتساعده في حفر القبر
ولكنهما لاحظا وجود حفرة معدة لذلك من قبل ،
فأدركا أن الرجل أعد قبره من قبل ، ترحم مؤمن
على الشيخ ، وجعله للقبلة وغسله ثم كفنه في رداءه
ثم واره التراب بعد أن صلى عليه .

وهكذا قد فشل مؤمن في انتزاع سر كنز الذهب
من الشيخ العجوز ، وتركاه في النهاية وسارا قدماً
يخترقان الطرق الوعرة . . . حتى وجدا نفسيهما أمام
مستنقع كبير المساحة شاسع الأفق مزروع
بالصخور . . . ولقد تكونت هذه البحيرة من ماء
النيل عند الفيضان .

وقفأ أمامه ينظران في حيرة . . . يريدان تحديد

أطرافه ومعرفة أبعاده فقال مؤمن :

- ما رأيك يا نانسي فى هذا العائق الكبير؟

قلت بنفسي :

- لا أدرى ماذا يمكننا عمله إزاء هذا البحر العظيم .

فأخذ مؤمن يجول بنظره فى أنحاء المكان ، ثم صعد فوق صخرة عالية يستطلع الطريق ، وبعد برهة قال لنانسي :

- يا إلهى ... نانسي ... إن المرور حول هذا

المستنقع يلزم له يوم بليلة ؛ إنه طويل يتجه ناحية اليسار بطول لا يقل عن مسيرة يوم بليته على الأقل .

فردت عليه نانسي حائرة :

- إذن لا مفر ... لا مفر أمامنا من العبور ... إن

الشط المواجه يظهر بوضوح ؛ ولن يستغرق هذا أكثر

من ربع الساعة.

فرد مؤمن وهو مازال فوق الصخرة:

- نانسي... فى الحقيقة... أنا لا أخشى على
نفسى من العبور... إنما أخشى ذلك عليك.

فضحكت نانسى وقفزت... فتطايرت صفائرها
فى الهواء وقالت:

- ما معنى هذا الكلام يا سيد مؤمن؟ أنا طفت
فوق النيل من السودان إلى مصر منذ خمس
سنوات، وسأثبت لك أننى أقوى منك وأكثر مرونة
ورشاقة... هيا... هيا... فلتطأ بقدمك فى النهر.
كان الماء راكداً قائم اللون... فلا هو المتحرك أو
الصافى الرائق... فلم يتبيننا عمقه ولكن وجود
الصخور المثورة فى المستنقع كان يدفعهما للوثب

عليها، والقفز من إحداها إلى الأخرى... كانا يلهوان في مرح تداعبهما روح المغامرة... إلا أنهما قد تسمرتا فجأة.. فلقد تحركت المياه تحت قدميهما حركة مفاجئة - عكرت صفوة المرح كما عكرت صفحة الماء - .

وهتفت نانسي:

- مؤمن... ما هذا؟ يا مؤمن... ما هذا؟

فرد مؤمن حائراً:

- لا أعرف . . ولكن لا بد أنه سمكة . ألا

تعلمين أن الاسماك هنا لا بد أن تكون كبيرة الحجم؟

فقالت نانسي :

- وقد تكون متوحشة

قال مؤمن:

- لا أظن . . . فالماء صاف كما ترين . . . لا بد
أنها سمكة صغيرة.

كان النهار فى أوله والشمس لا يشوبها
سحاب . . . فهى قرص من النار يلهب الوجوه،
وتبخرت على أثرها مياه المستنقع؛ فتشبع
الهواء ببخار الماء . . . مما جعل الجو رطباً لزجاً لا
يطاق . . . والحشرات اللاسعة لا ترحم . . . إلا أن
حركة الماء الراكد ازدادت حدتها؛ فتوترت البحيرة
وفر السكون . . . وانزعج الصمت، ولاحت فى الماء
نقوش متعرجة لها ألوان عجيبة، واهتزت بعض
الصخور، وظهر ثعبان رأسه كرأس الجمل وفى
حجمها . . . وبرغم أن هذا الوحش غير سام . . .
ألا أن سلاحه يكمن فى قوة جسده العضلى
القوي . . . الذى يلتف حول الفريسة لفات عديدة

ويضغطها بعضلاته حتى يعصرها عصاراً ويفتت عظامها حتى يقتلها ثم يلتهمها إلتهاماً..

كاد أن يغشى على نانسي من شدة الفزع ...
ولقد أحس الشعبان بهما، وضايقه وجودهما في مملكته الخاصة ... فقرر أن يتعامل معهما.

* * *

وفجأة برز الوحش الخرطومى الهائل فى حركة
فجائية فضربها بجذيله الضخم فسقطا فى الماء
يصارعان الغرق .

ولم يمهلهما فتوجه بسرعة ناحية مؤمن ، وطوقه
بجسمه . . . بينما كانت نانسي لا ترى شيئا من
هذا انتشار رذاذ الماء بعشوائية فى الجو أثناء الصراع
بين مؤمن والثعبان . . . ولقد تشبثت بسرعة بإحدى
الصخور . كان صراخ مؤمن يبلغ العنان وهو يكاد
يتمزق وتتكسر عظامه تحت وطأة الضغط الرهيب ،
وأخذ يحاول إخراج سيفه من غمده ، إلا أن الثعبان
قد شل حركته وأعاقه تماما عن ذلك ، فأخذ ينادى
على صديقه نانسي . . . التى لم تهدأ عن الصراخ
خوفاً عليه من الموت ، فأخذ يصيح فيها :

- نانسي . . . ساعديني . . . إنى أريد السيف . . .

اقتربى إنه مشغول بى؛ ولن يمسك.

لم تتردد نانسى ، فقفزت إلى الماء وسبحت مستندة بالصخور، واقتربت من حدة الصراع تحاول أن تخرج سيف مؤمن من غمده، وبعد عدة محاولات مرعبة... نجحت فى ذلك، ثم ناولته لمؤمن فى يده ، وفرت مسرعة بعيداً عن ضربات ذيل الثعبان الرهيب.

أخذ مؤمن يطعن الثعبان فى جسده طعنات قاطعة متتالية، مما زاد فى ثورته، وزاد من حدة الصراع... فكان يتلوى بسرعة معرضاً مؤمن للغرق.

حاول مؤمن بكل قوته أن يصيب رأس الثعبان، فأخذ يطعنه فى المكان الذى كان يقبض به على ذراعه الأخرى فتراخى جسد الثعبان قليلاً مما أتاح له استبدال السيف باليد الأخرى... وهكذا أصبح



سهلاً عليه أن يذبح الثعبان ذبحاً، وتبع ذلك بطعنات أخرى سريعة حتى تراخى الثعبان، وخارت قواه ، واستطاع مؤمن أن يخرج من بين التفافات جسمه . . . فآثر أن يتم فصل الجسم عن الرأس حتى يطمئن تماماً لموته . ومن بين الطمى الأسود والفطريات اللزجة المنتشرة على سطح المستنقع القدر الذى تلوث بدماء الثعبان . . . أخذ مؤمن يسبح بجهد، يللم هو و نانسى ما قد تناثر منهما من متاع أثناء الصراع الدامي .

وقال مؤمن لاهثاً:

.. كنا سننتهى تماماً يا نانسى ..

نظرت إليه بعينيها الصغيرتين معجبة بشجاعته وقالت:

- إن عناية الله كانت سلاحك يا مؤمن...
ولولاه لضعنا والتهمنا الشعبان.

فقال مؤمن:

- هذا أغرب ما رأيت فى حياتى ومغامراتى...
إنه شعبان رهيب.

ردت عليه وهى تضحك فرحة بالنجاة:

الدنيا مازالت مليئة بالغرائب التى لم يكتشفها
الإنسان حتى الآن. المهم الآن... أعتقد أن
المسافة ما زالت طويلة، وأن الخطر لا يزال يختبئ
لنا بين الأحراش... فما العمل إذن؟

قال مؤمن:

- العمل يا صديقتى... أن نقوم بصنع قارب
من جذوع الشجر لنسهل الرحلة؛ ونستقله فى النهر

حتى نصل .

نظرت نانسي حولها ثم قالت له بعد أن لمحت
جذعاً ضخماً فى مكان ليس يبعد عنهما ف اشارت
إليه وقالت : - آه... إنك شديد الذكاء... عندما
رأيت هذا الجذع استوحيت منه فكرة صنع القارب ،
أليس كذلك؟

كان الجذع الضخم منزوعاً من الأرض ، ولقد
تجوف داخله إثر عامل التعرية... فما كان منهما إلا
أن أخذوا يعملان على تسوية أطرافه الجانبية بالسيف
والبلطة كما عملا على زيادة التجويف الداخلى حتى
يسعهما معاً ، ولقد كان كبيراً ثقيلاً؛ فبذلا جهداً كبيراً
وهما يدحرجانه نحو شاطئ النيل .

وأخرج مؤمن حبلاً فاستطاع أن يربطه بالجذع ،
ثم دفعه ومعه نانسي إلى الماء ؛ و بالحبل استطاع أن

يتحكم فيه وهو فى الماء .

ثم جذبه وأمسكه بيده حتى هبطت نانسى إليه
ومعها قطعة من غصن شجرة لاستخدامها
كمجداف .

قفز مؤمن وراءها بعد أن ألقى إليها متاعه ،
وتهادى القارب الشجرى فى ماء النيل بدفعات من
المجدافين .

ولكن نانسى عاودها الخوف القديم من النهر
فصاحت :

- يا إلهي... لا أستطيع... لا أستطيع تحمل
هذا المنظر يا مؤمن الماء يكاد يغمر القارب .
فقال لها مؤمن بثبات :

- لا تجزعى يا صديقتي... سيظل القارب طافياً

على الماء بأى حال من الأحوال . . . لا تخافي .

كان الجو رغم ذلك بديعاً جميلاً، ينساب النيل
فى دعة وهدوء جميل، وريح خفيفة تصنع من
صفحته موجات بسيطة جعلته يترقرق كجسم
السمة فى ضوء الشمس الساطع ، وحاول مؤمن
مع الوقت أن يث الطمأنينة فى نفس نانسي، ولقد
اعتادت الحال بعد أن قطع بهما القارب مسافة لا
بأس بها، وبدأت نانسي تتحدث مرة أخرى بلهجة
مرجة فقالت :

- آه . . لو انقلب بنا هذا الجذع . . . فلسوف
نتنفخ من كثرة شرب الماء .

فضحك مؤمن وقال :

- الجذع كما ترين عريض كبير الحجم و لن
يحدث ذلك بسهولة يا نانسي .

كان الجذع الخشبي يسير في النهر وهما لا يدريان
أن الشلال قد اقترب، وأن عليهما أن يحتاطا لذلك.
ولا حظ مؤمن ذلك، ولكن هل فات الأوان؟ لقد
أخذته ثورة وأخذ يصيح في صديقه:

-إستمري في التجديف نحو الشاطئ يا
نانسي... بسرعة... بقوة... لقد نسينا أن
هناك شلالاً سوف يعترضنا.

أخذا يجدفان بكل ما أوتيا من قوة، ويدفعان
الجذع نحو الضفة الشرقية للنهر إلا أن الماء كان تياره
أقوى من ذراعيهما الصغيرتين...؛ لقد اقتربا من
الشلال... ها هو الجبل الصخري الهائل الذي ينهمر
الماء من أعلاه بسرعة رهيبية ليسقط في قاع عميقة
صانعاً ثورة عارمة. من العشوائية، فكان رذاذ الماء
يصنع سحباً كأنها معلقة في الهواء. والخطر في

السقوط من هذا الارتفاع إلى البحيرة العظيمة أسفل منه هو ما كان يحدق بالصغيرين. كان اندفاع الماء فى اتجاههما يساعدهما على الابتعاد رويداً رويداً عن مسقط الشلال، ولكنهما لم يدريا أن وجود الشلال يعنى العديد من دوامات الماء على مختلف أشكالها وقوتها. ولقد دخل الجذع بالصغيرين فى دوامة مائية قوية صنعتها اندفاعات تيار ماء الشلال مع التضاريس الغريبة لصخور النهر.

وصاح مؤمن:

- تماسكى يا نابسى... أنها دوامة مائية... هيا ابذلى أقصى جهدك حتى نخرج منها.
ولكن نانسى قد بدأ يصيبها الدوار وأنهكت قوتها، وكادت محاولاتها تذهب هباء.

وازداد اندفاع الماء من أعلى الشلال وزادت معه
حدة تدفق الماء فى النهر وأخذ القارب يدور
كالعجلة فى دوامة هائلة... وفجأة... ارتطم
القارب بصخرة ، فأطاح بمؤمن وناسى فى الماء ،
فظلا يقاومان الماء الأخضر الثقيل ، وبرغم السماء
الصفافية الزُرْقَة كان الموتُ يمسح بسواده كل معنى
للجمال ، وكان الاستسلام نهاية كل شئ... ها
هى الدنيا قد اسودت ، وامتلات الأعين بفقاعات
الماء ، خارت القوى... وذاب الأمل بسرعة غريبة
فى ماء النيل المرعب. لم يعلم أحد بعد ذلك كم
مضى من الوقت بعد ما أغشى عليهما فى ماء النهر؟
إنهما الآن على استعداد لسؤال الملائكة؟ « هل أنا
شقى أم سعيد؟ »

هل مرت الحياة بهذه السرعة وحن وقت السؤال

!؟ والحساب .

« هل من عودة إلى الدنيا مرة أخرى حتى نعمل الصالحات ؟ »

« هل الطريق الآن - لامحالة - يتفرع إلى طريقين لا ثالث لهما؟ الجنة أو النار؟ »

ولكنهما أحسا أن الحياة ما زالت تتمسك بهما... فلقد استيقظا ليجدا أنهما فى كوخ من أكواخ قبائل الأدغال... يشبه إلى حد ما كوخ الرجل العجوز الأسمر الذى مات بينهما.

وسمعا صوت الناس فى خارجه يلغظون ويتصايخون، وفجأة دخلت عليهما سيدة شديدة سوداء البشرة، ترتدى زيا سودانى الطراز، وعندما نظرت إليهما ابتسمت ثم اخذت تصيح، وصنعت



جالبة شديدة، وخرجت تهلل وعادت ومعها أناس كثيرون فالتفوا حول مؤمن ونانسي، وهم ينظرون بدهشة وفضول شديدين، ولكن نانسي بدأت بقطع حبل الصمت فقالت لهم:

- من أنتم؟ ولماذا نحن هنا الآن؟

خرج من بينهم رجل قوى عارى الصدر فاحم اللون فابتسم، وقبل أن يتكلم نظر للقوم فعلت همهماتهم ثم تحدثوا بلغة غريبة. ثم أخذوا ينصرفون من الكوخ الواحد تلو الآخر، وهم يشيعون مؤمن ونانسي بابتسامات جميلة وعبارات يبدو أنها تهنئة بالسلامة، ولم يبق معهما سوى الرجل الذى بدأ يتكلم فقال بلغة مصرية وإن كان يتعثر فيها:

.. لقد كنتمما ستموتان غرقاً... ما الذى دفعكما

إلى هذه المغامرة الخطرة وأنتما صغيران؟

- قام مؤمن ونظر حوله فى المكان ووجد متاعه
وسيفه فحمد الله ثم قال للرجل:

- لقد تذكرت الآن... ياإلهى... لقد كنا على
وشك الغرق فى النهر.

ابتسم الرجل وقال:

- لقد كنت أنا وزميلاي فى رحلة صيد، وكنا
نسير بحذاء الشلال... فرأيت جذع الشجرة يلقى
بكما إلى الماء، فلم أملك إلا دفع صاحبى إلى
الماء، وأنقذاكما قبل أن يتلعكما النهر..
فسأله مؤمن:

- وأين نحن الآن يا سيدى بالله عليك؟
فرد الرجل:

أنتما الآن فى السودان يا بني.. ..

ولقد أحسنت القرية استقبال مؤمن وصديقه، وأدى ذلك إلى إنغماسهما فى ثقافة القرية السودانية التى كانت تتطرف الشرق ناحية سلاسل الجبال العالية زاهية الألوان، وكانت نانسى أسرع من مؤمن فى التشرب بعادات أهلها الأصليين. وذات يوم بينما كان مؤمن يجلس تحت شجرة فى صحبة أحد شباب القرية ويدعى «ريحان» وكان شاباً قوياً مفتول العضلات... لاحظ مؤمن أنه كان يدقق النظر ناحية الجبل، وكان النهار قد ولى، ودخل الليل يزهو بنجومه اللامعات... وفجأة انتفض ريحان وقال فزعاً يخاطب مؤمن:

- انظر يا صديقي... انظر إلى الجبل.

نظر مؤمن نحو الجبل ولكنه لم يرى أى شئ غريب، ولكن عندما تكررت أفعال ريحان لاحظ

جوهرة البريق الغامض هـ

مؤمن بريقاً لامعاً خاطفاً يصدر من أحد أماكن
الجبيل .

ولما تقابل مؤمن مع نانسي بعد ذلك تناقشا في
أمر البريق الغامض الذي كان يحير أهل القرية .
فقال مؤمن لها :

- لقد شاهدته بعيني يانانسي . . . في الجبيل الذي
يبدو صغيراً . . . كان هناك بريقٌ خاطفٌ .
فتساءلت نانسي :

- وما الذي يمكن أن يكون من أمره يا مؤمن ؟
فقال لها مؤمن :

- لا أعرف ولكن الواضح أن أهل القرية يخشون
ذلك الوميض . . . فلقد حدثني ربحان كثيراً عن
بريق الجبيل . . .

فردت نانسى مقاطعة :

- إذن قل كل ما حكاه لك ريحان . . . ها ماذا

قال؟ فقال مؤمن :

- قال ريحان أن هناك حيواناً خرافياً يسكن بطن

الجبل، وعندما يخرج من كهفه تلمع عيناه بهذا
البريق.

إنه يؤكد ذلك ويقول أن هناك شهود عيان قد
أكدوا رؤيتهم لهذا الوحش، وتعرضوا له ثم نجوا منه
بأعجوبة

اتسعت جدقتا نانسى وقالت :

- شئ غريب حقاً . . . أنا يامؤمن لا أصدق

الخرافات. ولكن هل غامر أى من أهل القرية
بالذهاب إلى الجبل؟ فقال لها مؤمن :

- لقد أكد ريحان أن كل من ذهب إلى الجبل لم

يعد حتى الآن... وأن هذه المنطقة أصبحت مربعة مخيفة.

فكرت نانسي قليلاً ثم قالت:

- هذا الكلام يتشابه مع حديث الشيخ العجوز في جنوب مصر... حقاً إن الخرافة قد تمكنت من الناس.

هنا انتهت المناقشة وأطبقت الجفون على حيرة وتساؤلات لا حصر لها... ونام النوم على فراش من أرق وقلق ، فلم تنم الأفكار. واعتكرت الظنون في الصدور ، وارتابت العقول ونسجت من الاحتمالات أثواباً قد يكون للحقيقة نصيبٌ منها .

وفى منتصف الليل انتفضت نائسى كأنها لم تنم
وأخذت توقظ مؤمن ..

- مؤمن .. قم أيها الكسول .. قم .. لقد عرفت
سر البريق الغامض .. لقد عرفته .. قم يا أخي .
قام مؤمن متثاقلاً فانتبه على كلام نائسى وهى
تقول:

- قم يا مؤمن .. لقد عرفت السر .. سر البريق
الغامض .. اسمعني .. أتذكر حديث الشيخ العجوز
عن كنز الذهب الذى ذهبت القرية كلها من أجله ؟
فرد مؤمن وقد زاد انتباهه :

- نعم أذكر ذلك جيداً .. ماذا تقصدين ؟
قالت ملاحقة :

إن الجبل الذى يخشاه أهل هذه القرية ما هو إلا
منجم الذهب ، وهذا البريق هو لمعان عروق الذهب
فى ضوء القمر... وهو نفس الكنز الذى ذهبت
القرية وراءه، والذى رفض الشيخ أن يبوح لنا بسرّه .
دهش مؤمن من تفسير نانسى وتحليلها المنطقى
فقال :

- يا إلهي.. كيف واتتك هذه الفكرة؟ كلام
منطقى.. إن الذهب يمكن أن يكون كالعروق يتوغل
فى جدران الجبل وفى باطنه.. حقاً.. فقد تتعرى من
الجبل قشرة يلمع من تحتها بريق الذهب المدفون..
وهذا ما يراه أهل القرية ويحسبون أنه وحش
خرافي... ولكن... ما السر؟ ما السر فى أن كل من
يذهب إليه لا يرجع مرة ثانية؟

فقالت نانسى :

- هذا ما يحيرنى يا مؤمن... حقيقة... إن
بالجبل شيئاً يذهب بكل من أتى إليه... بدليل
اختفاء القرية. شرد مؤمن نحو الباب الذى كان يطل
على الجبل البعيد، وبدأ الجبل كصفحة مظلمة تسد
الأفق، ولكن نانسى قطعت حبل أفكاره فقالت:

- فيم تفكر يا مؤمن... مؤمن.. هل فكرت فيما
فكرت فيه أنا؟

نظر إليها مؤمن ثم أوماً برأسه فعرفت أنه قد قرر
نفس قرارها، وبدأ أنهما قد اتفقا بلا كلام. وفى
الصباح كان هناك اجتماع من أهل القرية حول مؤمن
ونانسى عندما قررا الذهاب لفض الغموض حول
«البريق الغامض»، واعترض الناسُ خوفاً عليهما،
ولكنهما عزمَا على الذهاب مما اضطر أهل القرية إلى
توديعهما الوداع الأخير، وفى ظهيرة اليوم الأخير

كان مؤمن وصديقه يسيران نحو الجبل الذى يبعد عن القرية مسيرة ساعتين . وفى منتصف الطريق سمعا صوت ريحان ينادى عليهما ويجرى نحوهما ممسكاً حربته فى يده وقال :

- لم يطاوعنى قلبي . . . أنا معكما حيث تذهبان .

انطلقوا وعيونهم تتطلع إلى الجبل الصامت الذى يكتنفه الصمت والبريق . . . وبعد جهد جهيد ، فى الصحراء الشاسعة تحت سطوة الشمس . . . استطاعوا أن يقفوا أمام الجبل الشاهق وقال ريحان :

- لابد أن نتسلق الجبل لنصل إلى منتصفه حيث يبدو البريق من هذا المكان ولنكن على حذر ، ولقد جلسوا يستريحون تحت صخرة ناتئة من الجبل . . . فشربوا بعض الماء وتناولوا لقيمات يسدون بها جوعهم ، ثم قرروا تسلق الجبل إلا أنهم قبل أن

يقوموا سمعوا صوتا يأتى إليهم من أعلى الجبل...
كان الصوت يقترب هابطا فقال ريحان هامساً:

- فلنلزم الصمت والسكون، ولا ندع أثراً من
حركة أو صوت ونسمع... لمن يكون هذا
الصوت؟

وبدا بعد ذلك أنه صوت حديث بين رجلين كانا
يهبطان فوق صخور الجبل، ثم وقفا فوق الصخرة
التي كان يستظل تحتها الأصدقاء الثلاثة... وبدأ
حديثهما مفهوماً... فكان يقول أحدهما للآخر:

- هل أنت متأكد يا زاهر أن هناك من اقترب من
الجبل؟ قال الآخر:

- فى الحقيقة لقد كنت ثملاً من الشراب، ولكن
رأيت بقعة تسير نحونا وبعدما ذهبت أخبرك عدت

فلم أر شيئا . صدقنى يا شهير... فقال الأول
- هل تهذي؟

- هل أنت سكران حتى الآن؟ ثم أين هؤلاء
المتطفلون؟ لو اقتربوا من المنجم؛ ستكون نهايتنا،
ويقتلنا الحاكم .
فقال الثانى :

هيا... هيا إذن نمشط المكان... فلنذهب إلى
الجهة الأخرى لعلهم قد داروا حول الجبل . تأكد
الأصدقاء الثلاثة بعد حديث الحارسين زاهر وشهير
أن الجبل به منجم للذهب، وتأكدوا أيضا أن هناك
من يقضى بالموت على كل من يقترب من المنجم...
أخرج مؤمن رأسه وألقى نظرة سريعة خاطفة على
الحارس شهيز وهو يدور حول الجبل ثم قال

لأصدقائه :

- إنهما مسلحان بالسيوف والجرا ب والدروع . . . يا إلهي . . . كيف سنقاومهم ؟

قبل أن يتم مؤمن كلامه كان شهير وزاهر يطوقانه من الخلف هو وريحان ، وأحس كل منهما بنصل خنجر حاد يكاد يثقب جنبه ، ونظر زاهر ناحية نانسي التى همت بالفرار فمد يده نحوها وأمسكها من ضفيرتها وهو يقول :

- عروسة جميلة ، . . . يا لحظى السعيد .

انتهاز ريحان هذه الفرصة فضرب زاهر ضربة أطاحت بخنجره .

أما مؤمن فلقد عض بفكيه على ذراع شهير وتملص من قبضته ، وفر مسرعاً يدور خلف الجبل



تاركاً الصراع على أشده بين زاهر وريحان ، بينما شهير لم يتبعه بل حمل نانسى بين يديه وهى تصرخ مستغيثة .

فر مؤمن من الخطر ولكنه ندم ندماً شديداً على تركه صديقه نانسى فريسة للجندى . . . فلقد كان ينبغي أن يتبعه ويدعها ، ولكنه لم يتبعه ، وقبض عليها . . . فأحس مؤمن بالذنب ، وقرر أن يستعيد أمانة الحكيم «نانسى» مهما كلفه الأمر . . . ودار يجرى خلف الجبل ، ولم يعرف ما الذى جرى بين ريحان وزاهر .

ولقد أخذته نائرة الشرف والكرامة ، فاندفع عائداً لا يهاب الخطر؛ حتى ينقذ نانسى من بين أيدي هؤلاء الأشرار ، فأخذ يتحدى الجبل الذى كان وعراً من هذه الجهة ، وتسلقه حتى وصل إلى مدخل الكهف

الذى كان يظهر البريق من جانبه، ودلف بسرعة داخل ممر طويل مظلم، ما إن دخله حتى سمع صوت أقدام تأتي من بطن الجبل... فالتصق بالجدار قابعاً يجلس فى الركن، إنه صوت أقدام الحارس شهير... كان يصفر بفمه سعيداً... ومر بجانب مؤمن، ولم يشعر به، فأخذ مؤمن يزحف إلى داخل الممر على بطنه، فلما أطمأن سار صاعداً ورأى دهليزاً صاعداً ثم هابطاً دركات قليلة... حتى لاحظ أن الظلام يبدده ضوء مصابيح نارية... وتوقف عندما سمع أضواء تكسير، ومعاول وأشياء تجر على عجلات

أخذ يقترب قابضاً على سيفه، فرأى مكاناً واسعاً فى بطن الجبل يخترقه قضيب حديدى، عليه تجرى عربات خشبية محملة بالحجارة. كانت الساحة

مضاعة بشدة، وأناس سود الوجوه كالعبيد يحملون
المعاول والمقاطف ويجرون العربات وعليها حراس
أشداء من السود أيضاً... كانوا يمسكون بالسياط
والسيوف، ولاحظ أيضاً أن هناك سخرة شديدة
وظلماً بيناً

فالحراس يتجولون بحرية يتابعون حركة العبيد
المسخرين. وفجأة تحرك أحد الحراس ناحية الممر
الذى يقف فيه مؤمن، فالتصق بالجدار وتوارى منه
فى ظل الممر، ثم الحارس من الخلف وقبض بشدة
على رقبته فخرّ الرجل مغشياً عليه من الاختناق...
ثم دخل مؤمن الساحة الواسعة يصرخ بزئير المتحدى
فهمّجوا عليه... فأخذ يبارزهم بالسيف.. كانت
حركاته جديرة بالإعجاب... فها هو يقفز من فوق
العربات، ويضرب بسيفه على الأذرع ولا يقتل،

ولقد أصاب من الحراس عدداً كبيراً، لكنهم حاولوا التجمع ضده ، وقفز يصارعهم من فوق القضبان داخل ممر طويل مظلم . . . ولم ير مؤمن أى شئ؛ فالظلام كان حالكاً . . . وفجأة لاحت فى باطن الجبل ساحة أخرى أوسع من السابقة .

وبمجرد دخوله إليها مندفعاً بعربته أصابته ضربة عصا غليظة من أحد الحراس ، ولم يشعر بنفسه بعدها .

وعندما أفاق وجد نفسه أمام نانسى وهى تبكى وفرح فرحاً شديداً إلا أنها كانت تبكى لما رأت حالهما ، وكانت تمسح عن مؤمن الدم الذى كان ينزف من رأسه . كانا فيما يشبه الزنزانة ، عليها بابٌ من ألغاب القوى ، وحارسٌ يحرس الباب ، وكانت حركة المنجم تدور أمام أعينهما فلم يتحدثا طويلاً ،

بل جلسا ينتظران المصير المحتوم. لم يطل المقام كثيراً... فلقد فوجئ الجميع بمجموعات هائلة من السود يحملون الرماح والسيوف والحرايب، ويقتحمون الساحة دون هيبة من الحراس الذين فروا داخل الممرات من الفزع، وشاهد مؤمن ونانسي صديقهما ريحان وهو يجرى بين الناس، ثم هرول نحوهما وأخرجهما من السجن، وقال لهما وهو يتسم:

معذرة يا صديقي. لقد فررت حتى ذهبت للقريّة فأحضرت كل من بها من رجال وشباب من أجليكما، إن الناس بعدما سمعوا ما رويته لهم عن حقيقة الجبل؛ انفجروا في ثورة رهيبة، وها هم سيحررون الأسرى الذين غابوا عن ديارهم من زمن طويل. . . إن بهذا المنجم قرى بكاملها.

نظر إليه مؤمن وقال:

- اعلم يا ريحان أنه من فرج عن مؤمن كربةً من
كُرْبِ الدنيا، فرج الله بها عنه كربة من كُرْبِ يومِ
القيامة... وكان الله في عون العبد ما دام العبد
في عون أخيه... إن ما يحيرني... من الذى سخر
هؤلاء الناس؟ لا بد أنه مجرمٌ عتيد... ولكن مالى
أراك حزيناً يا نانسي؟

فردت نانسي:

- مؤمن... لقد حدث شئ غريب... هناك
سيدة أحسن نحوها بشفقة كبيرة... أكثر من أى
امراة أخرى... لقد كانت تحمل مقطف الحجارة،
وتنظر لى نظرات غريبة... أريد أن أراها يا
ريحان...

قال ريحان:

- كل الأسرى الآن فى طريقهم للقرية... لا بد
أن نساء القرية سيعدون لهم الطعام، ويعملون على
تضميد جراح هذه السنين المظلمة... هيا بنا
الآن... إن الجيش سيأتى بعد قليل ليتسلم
المنجم... هذا حق البلاد كلها... تعالى يا نانسى..
تعال يا مؤمن... إلى القرية لنرتاح.

وقف مؤمن ونانسى على باب المنجم ينظران
أسفل الجبل لجموع من الأسرى، بين فرح
ومنطلق، وبين مظلوم مقهور لا يقدر على
المشي... كانوا يسرون فى طابور وكأنهم قد شربوا
النظام ونسوا أنهم أحرار.

وقالت نانسى:

مؤمن... قلبى يتحرك بشئ، يكاد يطير إليها...
شئ ما يقول لى أنها هي.

وفى القرية.. ارتقى الأسرى فى أحضان ماء
النيل يغتسلون فيلقون فى النهر عذاباتهم وهمومهم،
ويجددون الأمل، ويستمدون من النهر... « الحياة »
وكان الواحد يرجع منه غير الذى كان.

ووقف مؤمن يمسك نانسى بيده ينظران للعائدين
من النهر، وأحس أنها قد توترت وانقبضت وهى
تنظر لسيدة تقترب وهى تنشف وجهها من الماء...
كانت ما زالت شابة وإن كان الظلم قد أخذ منها
كثيراً.

توقفت أمام نانسى وتسمرت... أخذت كل
واحدة تحديق فى الأخرى... النظرات تنطلق محملة

بشحنات هائلة من الحب والشوق... كل خلجة-فى
وجه نانسى تقول لها «أنت أمي» وكل رعشة فى
شفتى الثانية تقول لنانسى «أنت ابنتي»...

وقف مؤمن يتابع الموقف مشدوهاً مبهوراً... ها
هى الابتسامة الخنونة تجذب الدماء الدافقة، هذه يا
نانسى هى المشيمة التى وهبتك الحياة.

زغردت السماء، وغزت رائحة الفل الراقصة كل
الأجواء... وفردت نانسى ذراعيها ورمت رأسها
للوراء، وهكذا فعلت أمها... وجرت أطول مشوار
فى تاريخها، بضع خطوات نحو أمها التى فتحت
صدرها وندت منها صرخة...

لم تكن صرخة خوفٍ ولا أنينٍ، بل صرخةُ
الفرحِ وقالت:



- نان... سي... ابتي...

لم تكن صفة، ولم يكن اصطداما... بل كان
التقاء الصدر بالصدر، وولوج الرأس بين الذراعين
ولم تقوَ أى رجل من الأربعة على تحمل هذه
الصدمة... فخارت من الفرحة كل قوة... وارتمت
نانسى وأمها على الأرض...

شوق الخمس سنوات يعبر عن نفسه فى
لحظة...

لم ير مؤمن دموعهما التى غسلت وجهيهما
بسبب دموعه التى انهمزت... فمند متى هو الآخر
لم ير أمه؟ كانت الفرحة لا مثيل لها فى
القرية... وها هى قرية نانسى... قرية العجوز
الذى مات فوق فراش الأشواك. تستعد للعودة إلى

البيوت المهجورة. وعلمت نانسي أن أمها قد فعلت مثل أم سيدنا موسى... عندما أحست بالخطر عليها، ألقتها في قارب خشبي إلى النيل ومعها الحجاب بعدما قُتل أبوها في المنجم الرهيب. وعاد مؤمن مع أهل القرية بعد أن ودع ريحان وأهله، ثم وقف بعد ذلك أمام قبر الشيخ العجوز، ورأى في أصل الشجرة. « شجرة التوت » وصية الرجل... فلما اقترب منها قرأ كلامها، وكان نفس الكلام الذي قاله له الشيخ قبل موته... قال رسول الله - ﷺ - « اتقوا الله ، وصلوا خمسكم وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا أمراءكم ، تدخلوا جنة ربكم »..

بكى مؤمن واغرورت عيناه بالدمع... وطأطأ

رأسه ناظراً للأرض تحت الشجرة وهو يقول:

- الحمد لله رب العالمين... الحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة. وإذا به يختلط عليه النظر، وظن أنه قد خدع نفسه بدموع عينيه ولكنها في الحقيقة كانت «جوهرة» حقيقية والريح ترفع التراب من فوقها... فمد يده وأمسكها مبتسماً وأدرك على الفور أنها جوهرة المروءة وكان ذلك جزاء ما قام به من عمل الخير وإعادته الفتاة «نانسي» إلى أهلها.

تمت بحمد الله تعالى

والإلى اللقاء مع مؤمن في ..

جوهرة المدينة المتحجرة

تمتع مع مؤمن في :

- ١- جوهرة الكهف المسحور .
- ٢- جوهرة البحر السابع .
- ٣- جوهرة البركان الأحمر .
- ٤- جوهرة مملكة الموتى .
- ٥- جوهرة الأدغال المتوحشة .
- ٦- جوهرة الصقيع المظلم .
- ٧- جوهرة البريق الغامض .
- ٨- جوهرة المدينة المتحجرة .
- ٩- جوهرة ميناء المذبح .
- ١٠- جوهرة الرمال الملتهبة .

مع تحيات

دار الدعوة

للطباعة والنشر والتوزيع

جوهرة المدينة المتحجرة

لقد كان منظراً بشعاً مخيفاً ... ثلاثة من
الرجال وجوههم وملابسهم كقراصنة البحار ،
متجمعين حول فتاة جميلة مطروحة علي الأرض ،
وبيد أحدهم سيف حاد والآخر يحمل بلطة لامعة ،
والثالث يرفع بكلتا يديه ساطوراً غليظاً ، ينوون
الثلاثة أن يهروا علي الفتاة في ضربة واحدة ، وهي
ترفع ذراعها تستغيث منهم